الروابط والعوامل الحجاجية في المناظرة السياسية

- مناظرة علي للخوارج نموذجا-

(دراسة حجاجية)

The connectors and argumentative operators in political debates

-Ali's debate against kharijists as model-

(Argumentative study)

محمد أمعيط

كلية اللغات والآداب والفنون، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب

Amaitm@hotmail.com

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2020/11/13	2020/11/30	2021/06/01

الملخص: اعتمد الخليفة علي بن أبي طالب في خطابه لخصومه على الحجاج اللغوي؛ بوصفه ظاهرة لغوية نجدها في كل قول وفي كل خطاب بحسب ديكرو. وهذا ما كشف لنا عن بعض الآليات اللغوية الحجاجية التي تضمنتها مناظراته للخوارج. من ذلك الاعتناء بحروف الربط وحسن اختيارها ومواقع ورودها في الملفوظ من أجل توجيه الكلام الوجهة الصحيحة التي يرومها المتكلم منذ البداية، و وجودها ضمن الخطاب لا يهدف إلى ربط سياق الكلام من أجل إيضاح عملية إخبار المتلقي وتقديم المعلومات، بل أيضا للتأثير والإقناع وإيصال المقاصد الحجاجية المستهدفة. لذلك خلصنا إلى أن هذه الأدوات اللغوية لها دور كبير في تأدية المعنى لتنحصر وظيفتها الحجاجية داخل اللغة، مما يمنح الخطاب انطلاقة قوية ومؤثرة في تحقيق البعد الإقناعي عبر استمالة المتلقي وتوجيهه نحو الغاية التي يريدها المتكلم، وهذا ما جعلها عناصر لغوية تلعب دورا أساسيا في اتساق النص وانسجامه وربط أجزائه، شكلا ومضمونا.

الكلمات المفتاحية: الحجاج اللغوي، الآليات اللغوية الحجاجية، المقاصد الحجاجية، الوظيفة الحجاجية، البعد الإقناعي.

Abstract : The epistle repertoire of Ali ibntalib hinges, in the road of eloquence, upon the linguistic argumentation regarded as a linguistic phenomenon available in any speech and document as Ducrot believes; such manifests the argumentative linguistic devices in the repertoire texts; there is a heed to conjunctions, its selection and their position in utterances so as to turn the prow of the speech to then proper destination the addresser desires ant the very out set. Such is known as argumentative conjunction that are of essentiality to make the speech acts consistent , elucidate the conveying process to the addressee and offer the information. Yet imam Ali takes hold of it influence and convey the argumentative intents he means .so we concluded that these linguistic devices to transpire the content to delimit its argumentative function in the language and such grants the speech initiative and influential inauguration and gain the argumentative scope through stimulating the addressee and guiding him to the intent he desires.

Keywords: linguistic argumentation; the argumentative linguistic devices; the argumentative intents ; the argumentative function; the argumentative scope.

1. مقدمة:

يستند الحجاج من منظور الحجاجيين اللغويين إلى المعطيات اللغوية، وهي كل الصيغ التي تظهر في البنى اللغوية، وينظر إليها لا فيما تقدمه من محتويات خبرية، ولكن فيما تنشئه من أفعال كلامية، فهذه البنى ليست لوصف الواقع وتمثيله فقط، بل لإحداث تغيير فيه، إنها علاقة بين طرفين يحاول كل طرف فيها "أن يؤثر في الطرف المقابل جنسا من التأثير يوجه به فعله أو يثبت لديه اعتقادا أو يمليه عنه أو يصنعه له صنعا"[1].

و سنعتمد في بناء هذا الدراسة أعمال ديكرو وأنسكومبر من خلال مصنفهما "الحجاج في اللغة L'argumentation dans la langue"[2]، وما تلا ذلك من إسهامات في ذات الموضوع ضمن أعمال أخرى[3].

وتنشد هذه الدراسة الإجابة عن مجموعة من الإشكاليات، وتحقيق مجموعة من الأهداف، أما الإشكاليات التي تستهدف الإجابة عنها، فتتجلى في :

- كيف يبنى الحجاج اللغوي في المناظرات السياسية؟
- ما هي الآليات اللغوية التي ساهمت في تشكل الحجاج في مناظرة علي بن أبي طالب للخوارج؟
- كيف تمظهرت الحجج التي قدمها المخاطب السياسي قصد الظفر بالنتيجة المرغوب

فيها؟

أما الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها فهي :

- الكشف عن الآليات اللغوية الحجاجية التي تحكم بناء الخطاب السياسي في الجنس المناظراتي.
- محاولة صوغ نموذج للخطاب الحجاجي السياسي في التراث العربي، لاسيما وأنه قد صور تصارع الأنظمة السياسية والتنافس على السلطة، وحوى الكثير من نماذج الخطاب في المجال السياسي.
- التعريف بأهم النظريات الحجاجية الحديثة التي اهتمت بالكيفية التي يشتغل بها الخطاب الحجاجي السياسي.

وتقوم الدراسة على تحليل مناظرة تاريخية في عهد اتسم بالخلاف والصراع حول السلطة، وهي مناظرة الإمام علي بن أبي طالب للخوارج، معتمدين على المفاهيم الإجرائية الآتية: العلاقة الحجاجية؛ المواضع الحجاجية؛ الاتجاه الحجاجي؛ القوة الحجاجية؛ السلم الحجاجي؛ والروابط والعوامل الحجاجية" وهي التي استند إليها أصحاب النظرية لإضفاء شرعية على هذا النوع من الحجاج الذي يباين الحجاج العادي "المرتكز على أنساق من المنطق الحديث، الأنساق المنطقية غير الصورية (بيرلمان 1977) أو الأنساق المنطقية الطبيعية (غرايز 1982-1984-1990) و(بوريل، وغرايز، وميفيل 1983،وفينيو 1976)"[4].

2. التأطير التاريخي للمناظرة :

عرفت فترة حكم الخليفة علي بن أبي طالب أحداثا غيرت مجرى التاريخ الإسلامي وعرفت تحولات دينية واجتماعية وسياسية كثيرة، نتج عنها انقسامات و ظهور أحزاب أخرى إضافة إلى الأحزاب التي انقسمت من قبل.

ومن بين ذلك "أن خرج عليه جماعة زعموا أن التحكيم نقص في الدين، وهم الذين كانوا اعتزلوه أولا"،[5] فسميت هذه الجماعة بالخوارج، " فباينوه و خرجوا عليه، و أنكروا عليه أشياء، فبعث إليهم عبد الله بن عباس، فناظرهم فيما ورد عليهم وما توهموه من الشبهة، ولم يكن له حقيقة في نفس الأمر، فرجع بعضهم واستمر بعضهم على ضلاله... ويقال: إن عليا ﷺ ذهب إليهم فناظرهم فيما نقموا عليه حتى استرجعهم عما كانوا عليه، ودخلوا معه الكوفة، ثم إنهم عادوا فنكثوا عما عاهدوه عليه، وتعاقدوا وتعاهدوا فيما بينهم على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و القيام على الناس في ذلك، ثم تحيزوا ناحية موضع يقال له : النهروان. وفيه قاتلهم علي[6]،

ومن أبرز مناظراته لهم ذكر أبو علي السكوني في كتابه (عيون المناظرات) مناظرة علي بن أبي طالب لابن الكوا " وهذا ابن الكوا كان زعيم الخوارج هو وشبيب بن رفعي، فلما ناظرهم علي بن أبي طالب و أقام عليهم من الحجج في جميع ما أوردوه عليه من الأسئلة و المطالبات استأمن إليه عبد الله بن الكوا في ألف مقاتل واستمر الباقون على ضلالهم".[7]

ثم هناك مناظرة أخرى وذلك بعد مقتل عبد الله بن الخباب، فالتقوا بمنطقة تسمى النهروان وقبل أن يقاتلهم علي بن أبي طالب، طلب منهم أن يسلموه قاتل بن الخباب وناظرهم. وذكر أيضا أبو علي السكوني مناظراته للخوارج، بعد رجوعه من صفين حيث أرسل إلى كل فرقة من فرقهم على اختلاف آرائهم فجاءوه فناظرهم.

3. متن الدراسة (نص المناظرة)

من بين المناظرات الثلاث، اخترنا الوقوف على المناظرة الثانية التي دارت بعد مقتل الصحابي الجليل عبد الله بن الخباب بن الأرث [8] – كما ذكرنا سابقا- حيث عسكر الخوارج بالنهروان " وكثر عددهم وقويت شوكتهم، فقصدهم علي بن أبي طالب في أربعة آلاف مقاتل، يتقدمهم عدي بن حاتم الطائي، فلما ازدلفوا إليه بعث علي ﷺ رسولا أن ادفعوا إلي قاتل عبد الله بن الخباب. فقالوا: **كلنا قتله، ولو ظفرنا بك لقتلناك**، فوقف عليهم علي بنفسه وقال لهم : **" يا قوم ما نقمتم مني حتى فارقتموني لأجله؟".**

قالوا : **" قاتلنا بين يديك يوم الجمل و هزمنا أصحاب الجمل فأبحت لنا أموالهم ولم تبح لنا نساءهم و ذراريهم، وكيف يحل مال قوم وتحرم نساءهم و ذراريهم ".**

فقال علي ﷺ : **" أما أموالهم فأبحتها لكم بدلا مما أغاروا عليه من مال بيت المال الذي كان بالبصرة، ولم يكن لنسائهم و ذراريهم أي ذنب، إنهم لم يقاتلونا فكان حكمهم حكم المسلمين لأنهم ولدوا في دار الإسلام و كانوا أولاد المسلمين، ومن لا يحكم له بالكفر من النساء والولدان ولم يجز سبيهم واسترقاقهم. وبعد، لو أبحت لكم نساءهم فمن كان منكم يأخذ عائشة ﷺ في قسم نفسه؟"** فخجلوا ولم يجدوا جوابا في هذا المقام.

فانتقلوا إلى سؤال آخر فقالوا : **" قد نقمنا منك شيئا آخر هو أنك يوم التحكيم كتبت اسمك في كتاب الصلح :" إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب و معاوية حكما فلانا، "فنازعك معاوية وقال: لو كنا نعلم أنك أمير المؤمنين ما خالفناك، فمحوت اسمك، فإن كانت إمارتك حقا فلم رضيت به؟".**

فاعتذر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فقال : **"إنما فعلت كما فعل النبي ﷺ حين كان**

سهيل بن عمرو وكتب في كتاب الصلح : "هذا ما صلح عليه رسول الله مع سهيل بن عمرو.." فقال له سهيل : ولو علمنا أنك رسول الله ما قاتلناك ولكن اكتب اسمك واسم أبيك. وأمر النبي ﷺ الكاتب فكتب :" هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله و سهيل بن عمرو" وقال لي رسول الله إنك ستبلى بمثله يوما، والذي فعلته إنما فعلته اقتداء به". فلم يجدوا أيضا جوابا.

فقالوا: **" لم قلت للحكمين إن كنت أهلا للخلافة فقروني، ولم شككت في خلافتك حتى تكلمت بمثل هذا الكلام؟ وإن كنت شاكا في خلافتك فلم ادعيت الخلافة؟".**

فقال علي ﷺ: **" إنما أردت أن أنصف الخصم و أسكن الناس ولو قلت للحكمين احكما لي لم يرض بذلك معاوية، وهكذا فعل رسول الله ﷺ مع نصارى نجران حين دعاهم إلى المباهلة. فقال :(تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم و نساءنا ونساءكم)[9]، وإنما قال على سبيل الإنصاف لا على سبيل الشك، وهو كقوله تعالى: (وإنا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين)[10]، ولهذا حكم النبي ﷺ سعد بن معاذ في بني قريضة، والحق في الحقيقة كان لرسول الله، ثم إن حكم الرسول ﷺ حكم بالحق و حكمي خدع فكان من الأمر ما كان."**

فلما سمعت الخوارج هذه الحجج استأمن منهم ثمانية آلاف وثبت على قتاله منهم أربعة آلاف"[11].

4. الروابط والعوامل الحجاجية في المناظرة:

يتضمن الخطاب بوصفه لغة طبيعية - هي مجموع البنى اللغوية المشكلة للخطاب- وسوما حجاجية" تشكل وسائل لغوية مختلفة يوظفها المتكلم لتوجيه خطابه وتنظيم العلاقات في حجاجه"[12].

وتشتمل اللغة العربية على مجموعة كبيرة من الروابط والعوامل الحجاجية التي يتوسل بها منشئ الخطاب لبلوغ مقاصده، وهو ما يعطي الشرعية لإدراج هذه الوسوم اللفظية ضمن الوسائل اللغوية ذات الطبيعة الحجاجية، ومن بين هذه الأدوات: الواو، لكن، إذن، لا، بل، لو، بلى، مع ذلك، تقريبا، إلا، إنما...، ويتم التمييز في نظرية الحجاج اللغوي، بين صنفين من الوسوم/العلامات، العوامل الحجاجية والروابط الحجاجية.

1.4. الروابط الحجاجية : les connecteurs argumentatifs:

الروابط الحجاجية هي حروف العطف والظروف التي تقوم بالربط بين وحدتين دلاليتين أو أكثر لخدمة هدف إقناعي في محاورة حول قضية من القضايا.

وللروابط الحجاجية وظيفتان:

- الربط بين وحدتين دلاليتين أو أكثر.
- خدمة الدور الحجاجي للوحدات الدلالية التي تربط بينها[13].

ويمكن التمثيل لهذه الروابط بالأدوات (لكن، بل، حتى، لأن، لام التعليل، كي، الواو، الفاء، ثم...)، والتي تسهم إسهاما فعالا في تأطير الحجاج بالخاصية الحجاجية اللغوية، وسنعمد إلى إعطاء صورة لأهم الروابط الحجاجية التي تواتر ورودها في هذه المناظرة مع التمثيل لها بنماذج وفق مبدأ الإفادة/الوجاهة على النحو الآتي :

1.1.4. الرابط الحجاجي (حتى):

يبرز الرابط الحجاجي مؤشرا حجاجيا في المناظرة، ويكتسب أهمية من علاقته الواضحة والقوية مع المعنى الضمني والمضمر، إذ أن دوره لا يقتصر على إضافة معلومة جديدة إلى سياق الجملة كما لو قلنا (جاء زيد) فتكون (حتى زيد جاء) إذا كان مجيء زيد غير متوقع.[14]

ويتجلى هذا الرابط داخل المناظرة في قول علي (**ما نقمتم مني حتى فارقتموني لأجله؟**)، حيث تم إدراج حجة جديدة **(فارقتموني)** تردف الحجة التي تسبقها **(نقمتم مني)** وتساوقها، ولكن تبقى الحجة التي يأتي بها الرابط (حتى) هي أقوى من الحجة التي سبقتها، أي أن ما بعدها غاية لما قبلها، ولذا أقر ديكرو بأن « الحجة المربوطة بواسطة هذا الرابط ينبغي أن تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، أي إنها تخدم نتيجة واحدة، والحجة التي ترد بعد هذا الرابط تكون هي الأقوى، لذلك فالقول المشتمل على الأداة (حتى) لا يقبل الإبطال والتعارض الحجاجي»[15].

فالرابط (حتى) في هذا المثال جاء من أجل تحقيق غايات حجاجية إقناعية، ويمكن أن نقرأه أيضا من زاوية (سببية) أي أن ما قبله علة وسبب وحجة لما بعده، فيكون مرادفا ل(كي) التعليلية، فيكون الشاهد **(يا قوم ما نقمتم مني كي تفارقوني لأجله؟)** وهنا يمكن أن نعد ما قبله حجة (النقمة) وما بعده نتيجة (المفارقة والخروج). ونمثل لها بالآتي:

ح 1 ←ـــــ ما نقمتم مني

الرابط ←ـــــ **حتى**

النتيجة ←ـــــ فارقتموني.

4-1-2- الرابط الحجاجي (لأن):

يعد هذا الرابط من أهم ألفاظ التعليل والتفسير، وهو إلى جانب هذا يستعمل لتبرير الفعل، كما يستعمل لتبرير عدمه،[16] وقد حضر هذا الرابط في المناظرة، لأن مقتضى الخطاب تطلب منهجا ومسارا تعليليا تفسيريا تبريريا من أجل التأثير والإقناع بالدعوى.

ومثال ذلك قول علي ﷺ : **كان حكمهم حكم المسلمين لأنهم ولدوا في دار الإسلام وكانوا أولاد المسلمين، ومن لا يحكم له بالكفر من النساء والولدان لم يجز سبيهم واسترقاقهم.**

فرابط التعليل (لأن) جاء ليبين سببا معقولا ومنطقيا لعدم سماح علي للخوارج بأخذ النساء والذراري كغنائم لهم، فحكمهم حكم المسلمين بدعوى أنهم ولدوا في دار الإسلام وأنهم كانوا أولاد مسلمين، لذا جاء الربط بين النتيجة والحجج المقدمة على الشكل الآتي:

النتيجة : حكمهم حكم المسلمين.

الرابط الحجاجي : **لأنهم.**

الحجة 1: ولدوا في دار الإسلام

الحجة 2: كانوا أولاد مسلمين.

والملاحظ أن الحجج جاءت مترادفة متسلسلة ومترابطة عبر حرف العطف (الواو) من أجل بيان النتيجة وتأكيدها وتثبيتها وهي (حرمة سبي نساء المسلمين وذراريهم).

4-1-3- روابط العطف الحجاجية :

بالإضافة الى ما ذكرناه من روابط حجاجية تظهر في المناظرة مجموعة من الحروف تضطلع ببعد حجاجي مهم من خلال ربطها بين الحجج والنتائج والتنسيق بينهما من أجل التعليل والتفسير والتبرير، ومن هذه الروابط أحرف العطف (الواو، الفاء، وثم)، إذ تقوم بدور حجاجي كبير، ففضلا عن قيامها بالربط بين قضيتين (حجتين) لنتيجة واحدة، فإنها تسهم أيضا في بداعة المعنى المقصود وخاصة إذا استعمل كل حرف واستغلت وظيفته في الموضع المناسب، فذلك يزيد من الإثبات على المعنى من جهة ويلقي على الخطاب نوعا من التنظيم والانسجام من جهة أخرى.[17]

4-1-3-1- الرابط الحجاجي (الواو):

يشير هذا الرابط إلى وظيفة الجمع بين قضيتين (حجتين)، ويستعمل حجاجيا بوصفه

رابطا عاطفيا يعمل على ترتيب الحجج ووصل بعضها ببعض، بل يعمل على رص الحجج وتماسكها وتقويتها فضلا عن التدرجية أو السلمية في ترتيب الحجج وعرضها.

ومن أمثلة ذلك في المناظرة قول علي ﷺ : **لأنهم ولدوا في دار الإسلام وكانوا أولاد المسلمين، ومن لا يحكم له بالكفر من النساء والولدان لم يجز سبيهم واسترقاقهم.**

فالرابط الحجاجي (الواو) قام بالربط والوصل بين الحجج وعمل أيضا على ترتيبها بالشكل الذي يضمن تقوية النتيجة المطروحة ودعمها وهي (حرمة سبي نساء المسلمين وذراريهم)، وعمل أيضا على حصول الترادف داخل النتيجة الواحدة، وهذا الربط النسقي بين الحجج قد انخرط في سلمية تدرجية باتجاه الحجة الأقوى بشكل أفقي على النحو الآتي:

ن : لم يجز سبيهم و استرقاقهم.

ح 3: من لا يحكم له بالكفر لا يجوز استرقاقه وسبيه.

ح 2: كانوا أولاد مسلمين.

ح1: ولدوا في دار الإسلام.

وهنا يتضح أن الحجة الثالثة هي الحجة الأقوى مقارنة بالحجتين السابقتين لخدمة النتيجة المعروضة لورودها في أعلى السلم الحجاجي.

4-1-3-2- الرابط الحجاجي (الفاء):

يعتبر رابط (الفاء) من حروف العطف التي تضطلع بوظيفة حجاجية، إذ يربط بين النتيجة والحجة من أجل التعليل والتفسير، فهي أداة ربط علية واستنتاجية في الخطاب الحجاجي، وتجمع بين قضيتين غير متباعدتين في الدلالة على التقارب بين الأحداث، فضلا عن الدلالة على الترتيب والاتصال، وأكثر ورودها كون ما بعدها أو المعطوف بها متسببا عما قبله.

وقد جاء في المناظرة على لسان الخوارج : **قاتلنا بين يديك يوم الجمل وهزمنا أصحاب الجمل فأبحت لنا أموالهم ولم تبح لنا نساءهم وذراريهم.**

فنلاحظ أن (الفاء) قد ربطت بين الحجة والنتيجة، فكان ما بعدها من حجة قد عللت وفسرت النتيجة التي سبقت الرابط، فإباحة الأموال جاءت بعد حجتين أساسيتين هما المشاركة في قتال أصحاب الجمل وهزيمتهم والانتصار عليهم، فعملت (الفاء) على الترتيب والاتصال/المسارعة في إباحة المال من دون مهلة خلافا لما تفيده الأداة (ثم) في إفادة التراخي فكان

ما قبلها علة وسببا لما بعدها.

4-1-3-3- الرابط الحجاجي (ثم):

الرابط الحجاجي (ثم) هو أيضا من حروف العطف التي تفيد التراخي والمهلة بين قضيتين متباعدتين، فضلا عن إفادتها الترتيب بين الحجج.

وقد وردت في المناظرة على لسان علي ﷺ : **ولهذا حكم النبي ﷺ سعد بن معاذ في بني قريضة، والحق في الحقيقة كان لرسول الله، ثم إن حكم الرسول ﷺ حكم بالحق وحكمي خدع.**

فحقيقة (ثم) هنا دالة على التراخي والمهلة للربط بين المعطوف والمعطوف عليه، غير أن هذه المهلة التي اقتضاها القول قد لا ترتبط بالزمن الحقيقي الفعلي، بل ترتبط بزمن نفسي قد يطول وقد يقصر بحسب واقع الحال، وقد أفادت هنا التعزيز أكثر من العطف، لأن ما جاء بعدها كان المعنى الأقوى والحجة الأبلغ التي تفحم ولا تدع مجالا للمحاجة لدى الطرف الآخر (الخوارج).

4-2- العوامل الحجاجية: les opérateurs argumentatifs

بما أن القرائن الحجاجية خاصية من خاصيات اللغات الطبيعية، فإن الخطاب المناظري متوسل بطبعه بهذا النوع من الوسائل لبلوغ الإقناع، فالعوامل الحجاجية"صرفة تحول الاحتمالات الحجاجية للمضمون المطبقة عليه، وتمد العبارات المتغيرة بإمكانية استعمالها لغايات حجاجية"[18].

وقد عرفها جاك موشلر بأنها : "مورفيمات إذا وجدت في ملفوظ توجه إمكاناته الحجاجية الوجهة التي يرتضيها المتكلم"[19]، حيث تتقيد الجملة بعده، ويتم الإسناد فيها في بعض الأساليب كالحصر والتأكيد والاستثناء والنفي والشرط وغيرها.

و من العوامل الحجاجية في مناظرة علي بن أبي طالب للخوارج، نذكر:

4-2-1- العامل الحجاجي (إنما):

"إنما" أداة استثناء، وهي مركبة من "إن" و "ما" وبعد دخول ما على إن التوكيدية تغيرت وظيفتها، وأصبح لها معنى جديد، و« قد تغيرت دلالتها على التوكيد من كونه توكيدا عاديا، إلى كونه توكيدا قاصرا أو حاصرا»،[20] وتأتي إنما لتصحيح معتقد أو ظن يذهب إلى نقيض المفهوم، واستعمال الاستثناء ب إنما «لا تقوله لمن يجهل ذلك، ويدفع صحته، ولكن لمن يعلمه ويقر به إلا

أنه يريد أن تنبهه».[21]

ودلالة إنما على القصر دلالة وضعية، وعلى الرغم من ذلك لم يفت البلاغيين أن يتحدثوا عن وجه دلالتها على القصر، فقد ذكروا أنها تفيد القصر لتضمنها معنى (ما. إلا)، يقول الجرجاني: «اعلم أنها تفيد في الكلام بعدها إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره».[22]

ولو أخضعنا هذا القول لمقولة التوجه الحجاجي نلحظ أن إنما في قول علي : **إنما فعلته اقتداء به**، وجهت الملفوظ نحو نتيجة محددة ومحصورة وهي الإقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم فقط دون أي غرض آخر، لأنه تقييد ب إنما وهذه هي النتيجة التي يروم علي ﷺ إيصالها إلى الخوارج، وبالتالي يمكن تأويلها بالعامل (ما فعلته إلا اقتداء بالرسول ﷺ)، فقصر علي فعله على الاقتداء بالنبي ﷺ واستثنى ما دون ذلك مما يتوهمه الخوارج من أن فعله كان لأغراض أخرى.

إن المورفيم (إنما) حين دخل على الجملة (فعلته اقتداء به) جعلها جملتين :

- فعلته اقتداء بالرسول ﷺ.
- لم أفعله لأغراض أخرى كما تدعون.

وهو ما يجعل الكلام ذا طابع حجاجي واضح في حين أن غياب إنما يجعله لمجرد الإبلاغ والإعلام، وتكتفي اللغة بوظيفتها الإعلامية ولا تتعداها إلى الحجاجية. فبغياب المورفيم (إنما) يكون الكلام حينئذ وصفا لما عليه الأشياء في الكون، وليس عملا مفيدا معنى : أنفي أطروحتكم أو أدحض ما تدعون...[23]

كما استعمل علي ﷺ "إنما" كذلك في معرض رده على الخوارج في تهمة **قوله للحكمين: إن كنت أهلا للخلافة فقروني**، وقد لجأ إلى العامل "إنما" لحصر الإمكانات الحجاجية التي يمنحها القول، وهي كثيرة، ففي قول الخوارج: "**لم شككت في خلافتك حتى تكلمت بمثل هذا الكلام**" إمكانات حجاجية كثيرة كالدعوة لقتاله، أو الاستمرار في قتاله، أو التنبيه إلى معاداته إياهم، أو التحذير من الدخول في حلفه بعد أن شك في الخلافة...لكن علي يحصر هذا التعدد في الأغراض والمقاصد ليبقي على حجة واحدة يقصد إليها لينبه الخوارج أن قوله هذا كان فقط لإنصاف خصمه وإسكان الناس، وبالتالي فهو يستثني هذا الفعل مما يدور في توهم الخوارج من أسباب أخرى، ويمكن تأويل هذا القول بعامل (ما. إلا) : ما أردت إلا أن أنصف الخصم وأسكن الناس.

4-2-3- عاملية النفي :

يعد الحجاجيون النفي عاملا حجاجيا يحقق به المتكلم وظيفة اللغة الحجاجية المتمثلة في

إذعان المتقبل وتسليمه عبر توجيهه بالملفوظ إلى النتيجة (ن)،[24] والنفي في عرف المناطقة هو "العامل الذي يحول القضية الصحيحة إلى قضية خاطئة والخاطئة إلى صحيحة وهو عامل أحادي".[25]

ولقد حصرت العربية في لغتها حروفا متمحضة للنفي من قبيل (لا، لن، لم، ما)، يصدق عليها قول أنسكومبر: « يوجد في اللغة مورفيمات، عوامل حجاجية، تشد الملفوظ وتوجه أقسام النتائج المرتبطة بالجملة في الملفوظ في بدايته».[26]

ومن أمثلة النفي في المناظرة ما جاء على لسان الخوارج : أبحت لنا أموالهم ولم تبح لنا نساءهم وذراريهم، فهذا القول يتضمن عاملا يوجه المستمع لنتيجة محددة وهي أن عليا لم يقم شرع الله حيث أباح الأموال و حرم النساء والذراري عند توزيع الغنائم، فجاء القول الأول مثبتا والثاني منفيا.

ورد علي على هذا الاتهام بمجموعة من الأقوال المنفية :

- لم يكن لنسائهم وذراريهم أي ذنب.
- لم يقاتلونا
- من لا يحكم له بالكفر من النساء والولدان لم يجز سبيهم واسترقاقهم..

فهذه الأقوال تتضمن نفيا حجاجيا ينفي اعتقاد الخوارج بأن نساء وذراري المسلمين يجوز سبيهم واسترقاقهم، فيبطل النفي هذا المقتضى بتوجيه الخوارج نحو نتيجة ثابتة مفادها أن عليا حكم بشرع الله، والغاية من هذا النفي توجيه الخوارج إلى الإعراض عن حرمات المسلمين والابتعاد عنها (المطالبة بسبي واسترقاق المسلمين)، وإقناعهم بالالتزام بقوانين الشرع الإسلامي في قسمة الغنائم.

فالنفي هنا أبطل تلك المطالب بتوضيحه أنهم لا نصيب لهم في غنائم النساء والأولاد باعتبارها أنفس مسلمة على عكس الأموال، وهي النتيجة التي عمل النفي على إلزام الخوارج بها بتكرار النفي في المناظرة، فقد عمل النفي الحجاجي على تقليص الإمكانات الحجاجية للقول من أجل استمالة الخوارج وحملهم على ضرورة الالتزام بحرمات الله تعالى ومنع هتكها، (وأعظم حرمة استدل بها علي حرمة زوج النبي صلوات الله عليه).

4- خاتمة:

تتيح اللغة لمستعمليها إمكانات هامة إذ بها يشكك المعترض، فينتصب سائلا، من حقه أن

يعترض بكل الطرق المشروعة، وباللغة يدلل العارض، ولما كان القصد في صناعة المناظرة إنما هو الوصول للصواب، كان حريا بالمدعي في إفادته المعترض إيراد أمور صادقة، فتنتصب اللغة فيصلا بين هذا وذاك لحل الخلاف.

ولهذا رأينا من خلال فحص هذه المناظرة السياسية التي دارت بين علي ﷺ وخصومه (الخوارج)، حقيقة مفادها أن المناظرات السياسية تفرض تواصلا خاصا بين المتناظرين، يعتمد على مجموعة من الروابط التي تنقسم حسب طبيعة غرضها الحجاجي إلى روابط مدرجة للحجج وأخرى مدرجة للنتائج؛ تتمثل وظيفة الأولى في إيراد الحجة، والثانية في إيراد النتيجة، كما تعتمد المناظرات أيضا على العوامل الحجاجية، والتي لا تربط بين الحجة والنتيجة، بل تتقيد الجملة بعدها، بإمكانات حجاجية ويتم الإسناد فيها في بعض الأساليب كالحصر والتأكيد والاستثناء والنفي والشرط وبعض الأدوات مثل : ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، وغيرها.

كل ذلك يكون مقصودا لإحداث الإقناع باعتبار الحجاج اللغوي مقوما أساسا من مقومات المناظرة، إذ لا يتصور تناظر بدون حجاج، فالتناظر في حاجة الى وسائل الإقناع لبناء الأدلة التي بها يدفع ما احتج به الخصم في القضايا الخلافية التي من أجلها تعقد المناظرة في عرف العقلاء.

5. الهوامش:

[1]- حمادي صمود، مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح، ضمن، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو الى اليوم، ص: 12.

[2]- Anscombre ,JC, et O. Ducrot, L'argumentation dans la langue, éditions Mardaga, liege-Bruxelles, 2éme édition, 1988.

[3] - O. Ducrot, Les échelles argumentatives, Paris, les éditions de minuit, 1980.

- Anscombre, JC, et O. Ducrot. Argumentativité et informativité, dans : De la métaphysique à la rhétorique, Essais à la mémoire de Chaim-Perlman avec un inédit sur la logique rassemblés par Michel Meyer, éditions de l'université de Bruxelles, 1986.

[4]- Dictionnaire encyclopédique de pragmatique, p :89.

[5]- محمد بن عفيفي الباجوري : إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء، صص 170-171.

[6]- إسماعيل بن عمر بن كثير القريشي الدمشقي : البداية والنهاية، دار عالم الكتب 2003، ج10،ص 565.

[7]- أبو علي السكوني: عيون المناظرات، المناظرة 50، ص:168.

[8]- انظر واقعة مقتل عبد الله بن خباب بن الأرث ﷺ، كما أوردها محمد بن عفيفي الباجوري في : إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء، صص: 171-172.

[9]- سورة آل عمران، الآية: 61.

[10]- سورة سبأ، الآية: 24.

[11]- أبو علي السكوني: عيون المناظرات، صصص 169-170-171.

[12]- عادل عبد اللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص :99.

[13] -Dominique Maingueneau, pragmatique pour le discours littéraire, p :54.

[14]- أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، ص :73.

[15]- نفسه.

[16]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجية الخطاب، ص : 478.

[17]- نعيمة يعمرانن، الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير (رسالة ماجستير)، كلية الآداب و اللغات، جامعة مولود معمري/تيزي زوز، الجزائر، 2012، ص:93.

[18]- محمد طروس، النظرية الحجاجية، ص :112.

[19]- Jacques Moeschler, argumentation et conversation : élément pour une analyse pragmatique du discours, p :62.

[20]- مهدي المخزومي، في النحو العربي، نقد وتوجيه، ص:238.

[21]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص : 330.

[22]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تصحيح محمد رشيد رضا، ص:258.

[23]- عز الدين ناجح، العوامل في اللغة العربية، ص: 47.

[24]- ينظر : العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص:47، وأيضا: عاملية أدوات النفي الحجاجية، سليمة محفوظي، بحث منشور على الأنترنيت، الموقع: www.akharak.net.

[25]- عاملية أدوات النفي الحجاجية، (بحث على الأنترنيت).

[26]-Anscombre, dynamique du sens et scalarité, , p134.

6. المراجع :

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

1- أرسطو (طاليس)، منطق أرسطو، حققه وقدم له، عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، ط1، 1980.

2- الباجوري (محمد عفيفي)، إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء، تحقيق محمد الاسكندري، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان، 2005.

3- الجرجاني (عبد القاهر)، دلائل الإعجاز، تصحيح محمد رشيد رضا، بيروت، لبنان، د.ت.

4- ابن رشد (أبو الوليد محمد)، تلخيص منطق أرسطو، دراسة وتحقيق، جيرار جهامي، دار الفكر اللبناني.

5- السكوني (أبو علي)، عيون المناظرات، تح: سعد غراب، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1976.

6- الشهري (عبد الهادي بن ظافر)، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2004م.

7- طه (عبد الرحمن)، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، البيضاء، ط 1، 1998.

8- عادل (عبد اللطيف)، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، ط1، 2013.

9- العزاوي (أبو بكر)، اللغة و الحجاج، مؤسسة الرحاب الحديث، بيروت، 2009.

10- العزاوي (أبو بكر)، من المنطق إلى الحجاج (حوار)، مجلة فكر ونقد، ع61، السنة:2004.

11- قدور (عمران)، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2012.

12- ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل الحافظ)، البداية والنهاية، دار عالم الكتب 2003.

13- المبخوت (شكري)، نظرية الحجاج، ضمن كتاب "أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم"، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، كلية الآداب منوبة.

14- المخزومي (مهدي)، في النحو العربي، نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1986.

15- ناجح (عز الدين)، العوامل في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، ط1، 2011.

16- يعمرانن (نعيمة)، الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير (رسالة ماجستير)، كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري/تيزي زوز، الجزائر، 2012.

17- محفوظي سليمة، عاملية أدوات النفي الحجاجية، بحث منشور على الأنترنيت، الموقع: www.akharak.net.

18-Anscombre,JC : dynamique du sens et scalarité, colloque de cerisy, 1987.

19 - Anscombre, JC, et O. Ducrot : Argumentativité et informativité, dans : De la métaphysique à la rhétorique, Essais à la mémoire de Chaim-Perlman avec un inédit sur la logique rassemblés par Michel Meyer, éditions de l'université de Bruxelles, 1986.

20- Anscombre ,JC, et O. Ducrot :L'argumentation dans la langue, éditions Mardaga, liege-Bruxelles, 2éme édition, 1988.

21- Dictionnaire hachette :sous la direction de ghislaine spora .

22- Dominique Maingueneau : pragmatique pour le discours littéraire.

23- Ducrot,O : Les échelles argumentatives, Paris, les éditions de minuit, 1980.

24- Moeschler, Jacques : argumentation et conversation : élément pour une analyse pragmatique du discours, université de Genève, HATIER-CREDIF, 1985.

25- Moeschler, Jacques, et Anne Reboul : Dictionnaire encyclopédique de pragmatique, Seuil, 1994.